(١٩)

آدم
على صورة إنسانه
فهو لله عنوان عنوانه
نقطة مركز البداية وأطراف دائرة اللانهاية

حديث الجمعة

٢٧ ذو القعدة ١٣٨٠ هـ - ١٢ مايو ١٩٦١ م

باسم.. باسم الله.. باسم الله الرحمن.. باسم الله الرحمن الرحيم..

باسم.. باسم الله.. باسم الله الحي.. باسم الله الحي القيوم..

باسمك.. باسمك الله.. باسمك اللهم..

باسمك لا اسم لك ولا وصف لك ولا شريك لك..

بك نستعين وإياك نعبد..

يا من هو معنا بلا متى، ويا من هو معنا بلا أين، ويا من هو لنا بلا كيف.

يا من هو أنَّا بلا شريك منا، يا من هو من ورائنا بإحاطته، يا من هو أمامنا بوجوه طلعته، وبطلعة جماله، وبديع أحواله.

يا من هو أقرب إلينا من حبل الوريد، وجوها له على ما يريد، لا على ما نريد.

يا من لا إرادة إلا إرادته، ولا مشيئة إلا مشيئته.

يا من لا إرادة لنا إن عرفناه، ولا مشيئة لنا إن وحَّدناه، ولا وجود لغيره إن عبَدْناه.

يا من جنته لنا إن كنَّاه، ويا من نارنا منه إن حُرمناه، ويا من حسابه علينا في يقظة الضمير لنا، ويا من إيماننا به في إدراك الافتقار إليه.

يا من هُوَ لا هُوَ، ولكن لا إله إلا الله.. يا من هو الله.. يا من هو لا إله إلا الله.. يا من هو في قربه عبده ورسوله.. ويا من هو في تنزيهه، وطلب العطاء منه، والنمو فيه.. الله أكبر.

يا من أوجد آدم على صورته، وهو ليس كمثله شيء. فجعل آدم في صورته ليس كمثله شيء في أي صورة ما شاء ركبه.. يا من هو في معناه إلينا كل شيء، وأوجد آدم على صورته مشهودا في كل شيء، سوَّاه فعدله. يا من تنزه عن الأشياء، فكان وراء كل شيء، وخلق آدم على صورته فجعله وراء كل شيء وبدء كل شيء ونهاية كل شيء، ونزهه عن كل شيء.. فجعل كل شيء من أجله خلق. وبإرادتك فيك من أجلك تخلَّق.

يا من هو ظاهر لم يختفي.. يا من هو حاضر لم يغيب.. وخلق آدم على صورته فجعله ظاهرا لم يختفي ولن يختفي، وحاضرا لم يغب ولن يغيب.

يا من لم يظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان، فشرف الإنسان بظهوره باسم الرحمن، وخلق آدم على صورته فجعله الإنسان، وجعله ما وراء الإنسان من الإنسان، وما أظهره في شيء مثل ظهوره في الإنسان.. وظهره برحمته ذكر الرحمن عبدا للرحمن.

يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.. وأوجد آدم على صورته.. أوجده بإرادته من عمله وإرادته، وأوجده بمعناه من اصطفائه لمعناه، فلم يلد وإن ولد من يعادله، ولم يولد وإن ولد ممن يعادله، ولم يكن له في معناه وفي بيته وفي ولده كفوا أحدا يعادله من جمعه في معناه فيهم، بمعناه لهم يتواجدونه ويتواجدهم واحدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

يا من جعل آدم عنوانه، وجعل آدم كتابه وبيانه، وجعل آدم باطنه وإنسانه، يا من عَرَفه آدم فأكبر وَعُرف، وظَهَرَه آدم فرؤي وشرف، وتكنز بالتخلق بأخلاقه آدم فتكنز وغاب، وتجدد منه آدم في غيبته في جلباب اسم الله، وذكرا لله.. فظهر به غيب الله، وعرف به ذكر الله، وجاء به الحق من الله، بجديد لقديم في دائم من آدم إلى آدم بآدم رسولا وعبدا لله.

يا من كرمتنا أبناء له، بوصفنا أبناء لآدم، كرما منك ومِنَّة.. ويا من وعدتنا وواعدتنا، كلمات منك، بمعناه عبادا لك، وكلمات منه بمعناك له أوادم للناس.. وفعلت، وتخلف الأعم، ونحن منهم فمتى؟ وأين؟ وكيف هذا الوعد؟ نقول متى بجهلنا ولا متى لك. ونقول أين بجحودنا ولا أين لك، ونقول كيف بتخلفنا ولا كيف لك. يا متانا، ويا أينانا ويا كيفما نكون تكون.. أمرتنا أن نبصر في نفوسنا..

وهذا هو المتى، وهذا هو الأين والكيف لنا، فكيف نسأل أين وأنت معنا؟ وكيف نسأل متى وأنت معنا أينما كنا؟ وكيف نسأل كيف وأنت راعينا ومكيفنا؟ إننا بغفلتنا عن أنفسنا نغفل عن نفسك لنا، ونغفل عنك جماعنا. وبكفرنا بأنفسنا في وحدانيتك نكفر بنفسك وجودنا، ونكفر بك في كفرنا بنا منك، وببعدنا عن أنفسنا نبتعد عن نفسك، ونبتعد عنك، فنسأل في أعماقنا ونتساءل بيننا متى لنا أنت؟! وأين لنا أنت؟! وأنت لنا حيث أنَّا، وأنت لنا حيث كنا، وأنت حياتنا كيفما كنا.

يا حياة أحينا.. ويا أنَّا اكشف الغطاء منا، فينكشف البلاء عنا.. بلاؤنا في غطائك عنا، وجزاؤنا في ارتداد عملنا علينا أخطأنا أو أحسنا.. فنحن بارتداد أخطائنا في نار من فعلنا، وفي جحيم من خلقنا، وفي جهنم من مسلكنا، وفي ضيق من منهجنا. ونحن في ارتداد ما يسرت لنا وإليه وفَّقتَنا، في سعادة بك.. من عملك عملنا.. يا من صنعتنا وصنعت ما كان من صنعنا، يا من جعلت كل شيء منك كل شيء منا، لأنا منك في كل شيء منا.

هذه الأرض وما فيها وما حولها.. هذه البشرية بماضيها وحاضرها ومستقبلها.. هذه الحياة.. هذا القيام المظلم، من دخان متجسد للسموات والأرض.. هذا القيام الظالم لنفسه بجهله عنه.. منه يبدأ النور، ومنه تبدأ الحياة، ومنه تبدأ الإجابة لمناديه، ومنه تبدأ الحكمة، ومنه يبدأ آدم، ومنه يبدأ الإنسان، ومنه تبدأ الكلمات، ومنه تبدأ الآيات، ومنه تبدأ الحيوات. كما أنه من ورائه يختفي الإنسان، ويختفي آدم، وتختفي الكلمات. إنه قيام عظيم على ضآلته في موجود الله الواسع العليم. وإنه قيام رحيم في حقيقته، رغم ظلم الناس فيه لأنفسهم، به مغفورين، متضائلين. وإنه قيام رتيب في ذاته مبين بآياته، منبلج بعظمة صفاته، على ما يبدو للمدرك في حاله وإن زعم الغافل مظهر فساد أحواله.

إنه الصراع المولد للحياة.. إنه الصراع الخالق للنور.. إنه الصراع المهيئ للدفء.. إنه الصراع بين مثاليات الوجود وخيالات العدم، تظهر به عظمة الله وحكمة الله.. {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم}[1] {ولولا دفع الله الناس لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا}[2].

يا أيها الناس لا تستهينوا بالحياة التي تحيونها، ولا تستعلوا بما تحيون على الحياة.. فأنتم الحياة بظاهر الحياة وأنتم الحياة بباطن الحياة، وأنتم الحياة بقديم الحياة، وأنتم الحياة بمستقبل الحياة، وأنتم الحياة بحاضر الحياة.. إنكم لا تحيون ولا تبقى لكم الحياة إلا بسرمدي الحياة ترتبطونه وتتصلونه وتتواجدونه وتتوحدونه في الحي القيوم.. آمنوا بالحياة على ما هي الحياة. وآمنوا أن الناس على الأرض بمعناهم الناس على الأرض، لهم الدوام ولهم الحياة.. الله من ورائهم محيط مهما تجددوا، والله قائم على كل

نفس بما كسبت مهما توالدوا.. والله في هذه الحياة بالناس مهما حصدوا. (جعلت الأرض لي مسجدا وطهورا)[٣] (بينما أنا نائم أطوف بالكعبة رأيت رجلا آدم...)[٤]، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[٥]، {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}[٦]...

ففي هذه الحياة من حياة الناس، يبدأ الناس الحياة. وفي هذه الحياة من حياة الناس، يجدد الناس الحياة، ويتجددون بالحياة، عنها يغيبون، وإليها يعودون، وكما بدأوا فيها على ما بدأوا في قديم هم في جديد يبدأون وبقابل يتواجدون. إذا شهدوا الله فيها أحبوها وأحبوا الله فيها، فحرصوها وحرصوا على تجدد أوانيها في جديد منهم، لقديم لهم، بحاضر من أوانيهم يبعثونه بموت يفعلونه لا بموت ينتظرونه عما قليل يفقدونه.. هذه الحياة وعما قليل أو بعيد إليها يعودون وما هم عنها بغائبين.. فهذا هو البعث يبعثون، وهذه هي القيامة يقومون، وهذه هي الساعة يشهدون يوم أنهم لحق الله يدركون ولكلام الله يفقهون.

فِلِمَ للحق تسوفون؟ أإلها مع الله تنتظرون؟ والحق ظاهر في حياتكم فِلِمَ لا تنظرون ولِمَ لا تتأملون؟! وبديعه قائم بكم وقائم لكم فِلِمَ لا تشهدون؟! أإلها مع الله تطلبون؟ أشريكا لله تتواعدون؟ أغيبا لله تستحضرون؟ لا ولكنكم حاضر الله فيكم وحولكم تجحدون، وبه لا تؤمنون، وله لا تطلبون، وأنتم تنظرون فإياه لا تقومون، وبتراب جلود ذواتكم تتعلقون، وأنتم من التراب وإلى التراب تعودون، ومنه بالتراب تبعثون، فأين الروح في عقائدكم أيها المسلمون؟ أمسلمون أنتم وأنتم من الروح تيأسون، وإذا تفضلت فظهرت تنكرون وتجحدون، وما ظهرت إلا على ما كنتم توعدون؟ أألحق مواجها تواجهون، وبباطلكم من الأوزار تجابهون وتستكبرون، وأنتم بالروح مع الروح تتصلون، وبالنور من النور تشرقون، وبالنار من النار تستدفئون؟ ... أترابي الوجود تؤمنون، وحياة الله الحي القيوم في الأحياء - كما تحيون - تجحدون ولا تحرصون؟ للروح فيكم تنكرون، وبسربال الأوزار والأثقال تتمسكون، وللتراب خلود، ودوام التراب في أنكم به تتجددون، وعنه تموتون وبه تبعثون، والمادة والروح تواصلون، فطورا به تتسربلون وطورا منه تتخلصون.

هذه هي الدنيا، وهؤلاء هم الناس. فمتى بيقظة يتواصون؟ وعن الله فيهم يتناجون؟ وبالحق من ورائهم محيط يتذاكرون؟ وبالحياة للحي القيوم أقرب إليهم من حبل الوريد يتعارفون؟ والشيطان يجري منهم مجرى الدم يَحْذرون ويُحذّرون؟ متى الله لا يغيبون ولا يسوفون؟ ومتى الحق في أنفسهم بأنفسهم لأنفسهم يقيمون ويقومون؟ فلا يجحدون ولا يتجاهلون، فآباء جهل ينمون ويتقيدون. ومتى من هو معهم يخشون؟ ومن هو عليهم يرهبون؟ ومن هو لهم يحبون؟ فلا حاكما يحذرون وينافقون، ولا ظلما يأتون، ولكنهم في استقامة من أنفسهم يقومون، يُؤَامِنُون ويُستَأْمنون، ويأمنون بأمن الله معهم يعتقدون، وبه يقومون وفي الناس يقيمون.

هذه هي حال الأرض على ما ترون. وهذا هو حال الناس على ما تَذَاكرون. فإن سمعتم القول، وقبلتم النصح، فكنتم لأنفسكم ناصحين، فاعتزلوا الناس وما من دون الله يعبدون، ولا ترتبطوا بهم فيما يعشقون من دنيا بها يتعلقون، وهي مزرعة للآخرة فيها يتواجدون، وعليهم أن يعطوها وصفها إذ يعملون، وأن ينتفعوا بها مرحلة في الحياة بها يمرون، وهم لا يقومون فيها خالدين.

عُدُّوا أنفسكم من الموتى تكونوا من المؤمنين.. وكونوا من الموتى تصبحوا من المشاهدين.. وتعالوا بالحياة عن مشهود دنياكم إلى دنيا هؤلاء الموتى من الناس تحيونهم بينكم فبهم تحيون، وبنور الله في الناس تمشون، وإتمام نوركم من الله تسألون.. ربنا أتمم لنا نورنا - كما توعدون - فيتم الله لكم نوره فتعرفون، وذكر الله تكونون، وأسماء الله تنادون، وبيوت الله ترفعون، وبيوت الله وكلمات الله توضعون.

هذا هو الدين به تُذَكَّرون.. اعبدوا الله على ما يليق بالله أيها العابدون. وعبِّدوا أنفسكم لذكر الله فبذكر الله تتوحدون. وذكرا لله مع ذكر قديم متوحد تتواجدون على ما بشرتم وتعلمون، وعلى ما عرفتم وآمنتم وتطلبون، فتشهدون وتتعلمون وتعرفون، فتُشهدون وتُعلمون وتُعرِّفون.

إن الله وملائكته على النبيين يصلون. وإن الله وملائكته على المؤمنين يصلون. وإن الله وملائكته عليكم اليوم يصلون. إن الله وملائكته بالعارفين العالمين يتصلون، فيا أيها المصلين لا تجحدوا الصلاة صلة تقوم برب العالمين، وأقيموا الصلة صلاة لله بقبلته تتصلون وإليها تتجهون، ولا تصلوا صلاةً تمنعون بها الماعون، ومن الله بها بعدا تزدادون، إذ كنتم بها من المرائين، فتمسخوا على مكانتكم من الضالين، وتكونوا رسلا مضلين للشياطين.

هذا هو الدين على، ما تُذكَّرون وعلى ما تسمعون، وغيره حديث الضالين المضلين. ولا توارثوا منقول الغافلين حتى لا تراءوا يوما بثوب الغفلة تلبسون وتبعثون. واعلموا أن الله معكم أينما تكونون، وكيفما تكونون، وأن الدين المعاملة معه على ما هو عليه معكم، وعلى ما يجب أن تعرفوا أنه مع الآخرين فله في حاضركم تشهدون، ومعه تتعاملون والله ولي المؤمنين وولي الصابرين.

إياك نعبد يا من هو معنا.. وإياك نستعين.. يا قريب يا مجيب يا معين.. يا معلم يا هادي يا مبين.

يا من هو معنا إليك نفتقر وبك نستعين.. اللهم يا من هو اللهم إلى ذكرك اللهم.. وإلى اسمك اللهم.. وبمعناك اللهم.. اللهم إليك نجأر، وإليك نلجأ، ومنك نلتمس، وبك نستعين. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، والأمن والطمأنينة على نفوسنا، والرضا والسكينة على قلوبنا، وخلصنا من شرور أعمالنا، ومن شرور الأشرار من خلقك، وآمنا في ديارنا، وآمنا في حرياتنا، وآمنا اللهم من نفوسنا، وآمنا اللهم في أولادنا وأزواجنا، وآمنا اللهم في آبائنا وذرياتنا، وآمنا اللهم في دنيانا

وفي أخرانا.. واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك، وأصلح أحوالنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين يقظين وغافلين عالمين ومتعلمين.. لا إله غيرك سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

من هدي الرسول والكتاب:

- من أول خلق الله يا رسول الله؟ قال آدم.. ومن قبل آدم؟ قال آدم.. ومن قبل آدم؟ قال آدم ولو ظللت تسألني إلى ما شاء الله لقلت آدم.. قبل آدم مائة ألف آدم..
- لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض آدم..
- هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا. إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا..
- وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا..
- أيحسب الإنسان أن يترك سدى..
- كل من عليها فان ويبقى وجه ربك...
- وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى..
- ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير..
- وما كنت متخذ المضلين عضدا..
- واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق..
- والله من ورائهم محيط.. أفمن هو قائم على كل نفس.. ونحن أقرب إليه من حبل الوريد..
- ما وسعتني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن.
- ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان. إذا أحببته كنته.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة هود – ١١٨، ١١٩

٢ سورة الحج - ٤٠

٣ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أَعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأَحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٤ من الحديث الشريف: "بيْنَما أنا نائِمٌ رأيتُنِي أطُوفُ بالكعبةِ، فإذا رَجلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعْرِ، بيْنَ رجُلَيْنِ يَنطُفُ رأسُهُ ماءً، فقُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: هذا ابنُ مَرْيَمَ، ثمَّ ذهبتُ ألْتَفِتُ، فإذا رجُلٌ أحمَرُ جَسيمٌ، جَعْدُ الرأسِ، أعْورُ العيْنِ، كأنَّ عيْنَهُ عِنبةٌ طافِيةٌ، قُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: الدَّجالُ، أقْربُ الناسِ بهِ شبَهًا ابنُ قطَنٍ". أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.

٥ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقَّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

٦ سورة القصص - ٨٥